النظريات التي فسرت الارشاد باللعب :-

ظهرت في ميدان علم النفس والارشاد النفسي وجهتي نظر مختلفتين في تفسير اللعب لما يمثله اللعب من أهمية بوصفه وسيلة للتفريغ الانفعالي ، ونتيجة لاستخدامه من العلماء والباحثين في دراساتهم أمثال (فرويد) و(لورنز) و (منغر) و (ريتشارد) ، لذا ارتأينا أن نقدم عرضاً مفصلاً لأهم النظريات التي فسرت اللعب وحسب وجهتي النظر المشار أليهما آنفاً وهما :-

أولا ً . وجهة النظر الأولى :

وتمثل المنظور الكلاسيكي لتفسير اللعب ، وأهم نظرياتها :-

١. **نظرية اللعب كوسيلة للاستجمام والراحة بعد العمل :**

وتقترن هذه النظرية بأثنين من المفكرين الألمان هما (شيلر- Schaller) و (لازروس) (Lazarus) وحاولا بها تفسير ميل الإنسان الى اللعب ، وكان (شيلر) يرى إن اللعب يهدف أساساً الى التخفيف من توتر العضلات والترويح عن النفس بعد فترة طويلة من التعب والجهد ، واللعب بهذا المفهوم ليس إلا وسيلة لتجديد القوى واستعادة الطاقة للعمل ، وهذا التفسير يجعل من اللعب والعمل جهدين متقابلين ، فلا لعب بدون عمل ولا عمل بدون لعب ، وهما معاً يحققان للفرد قدراً من التوازن يمكنه من الاستمرار في العمل الذي هو الهدف الرئيسي في حياته. (الخوالدة ، ٢٠٠٧، ص٣١) .

ومن الواضح إن هذا التفسير البسيط للعب لا يستطيع أن يوضح لنا لماذا يلعب الأطفال وهم لا يعملون أصلاً عملاً معيناً ، بل إننا نجد إن الأطفال يلعبون دون توقف فترات طويلة ، فإذا ما استراحوا من اللعب فترة ما عادوا إليه مرة ثانية ولا يكفون عن اللعب إلا عندما يحل بهم التعب ، فيرتاحون قليلاً ليعودوا إليه مرة أخرى ، وهكذا فان العلاقة بين اللعب والتعب ليست علاقة متناقضة كما يحاول ان يقدمه

لنا هذا التفسير ولكن اللعب والتعب متلازمان في الكثير من الأحيان خاصة بين الأطفال في جميع مراحل طفولتهم (ربيع ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٩)

٢. <u>نظرية اللعب كوسيلة لتصريف الطاقة الزائدة عن الحاجة</u> :

يرى أصحاب هذه النظرية وعلى رأسهم الألماني (فريدرك فون شيلر ١٧٥٩-١٨٠٥) والفيلسوف الانكليزي (هربرت سبنر - ١٨٢٠ - ١٩٠٣) إن الفرد يجد في جسمه ونفسه طاقة لا يعرف كيف يصرفها ، أو ماذا يعمل بها فيلجأ الى اللعب الذي لا هدف من ورائه سوى أن يتخلص منها ، وكأن الفرد – من وجهة النظر أصحاب هذه النظرية – أشبه ما يكون بوعاء كبير فوقه غطاء حبس فيه قدر كبير من بخار الماء يحاول أن يجد له متنفساً يخرج منه ، وكلما وجد هذا البخار لنفسه متنفساً كلما قل احتمال انفجار الوعاء ، ومن البديهي أن تبرز هذه النظرية خطر حبس الطاقة الزائدة عند الطفل وتحسب حساب الأضرار النفسية والجسمية التي تنتج عن كبتها وعدم تصريفها فتدعو الى "تفريغ" هذه الطاقة الزائدة ، ونجد في اللعب وسيلة مقبولة لتحقيق هذا الغرض (سلامة، ٢٠٠٦، ص٤٧-٤٨)

ومن الملاحظ إن هذه النظرية تبدو عكس النظرية السابقة ، فالأولى تجعل من اللعب وسيلة لاستعادة ما يكون قد استنفذه الفرد من طاقة وجهد عن طريق العمل ، بينما ترى النظرية الثانية إن اللعب يخلص الفرد من الطاقة التي يختزنها ولا يجد سبيلاً لتصريفها ، ولكن مع ذلك ومن خلال الملاحظة البسيطة لسلوك الأفراد تنفي هذا التفسير في كثير من الأحوال ، إذ كثيراً ما نرى الصغار يندفعون الى لعبة جديدة يقدمها لهم الكبار رغم إنهم يكونون متعبين أو مرهقين بعد رحلة طويلة مجهدة

٣. <u>نظرية اللعب كتلخيص لسير التطور الإنساني</u>:

ويرى أصحاب هذه النظرية إن أشكال اللعب الإنساني وصوره المختلفة تمر بمراحل تشبه مراحل التعاون الإنساني ككائن حي له نشاط خاص يسعي الى كسب

قوته والدفاع عن نفسه وحماية حياته ، ومن ابرز أنواع هذا النشاط الإنساني على مختلف أدوار الحياة ، الصيد والقنص وزراعة الأراضي والقتال وبناء المساكن والتعليم .. الخ ، لهذا فان العاب الصغار تسير في ذات المسار الذي سار فيه هذا النشاط الإنساني وتلخصه في مراحل الطفولة المختلفة ، أي إن الطفل إنما يلخص عن طريق اللعب بشكل غير جدي تأريخ الحياة الجدية للنوع الإنساني منذ نشأته حتى عصرنا هذا (ربيع ،٢٠٠٨، ص٦١)

ولهذه النظرية جانب تربوي إذ أنها بعد أن أوضحت لماذا يميل الأفراد الى اللعب ولماذا يهتمون به ، طلبت بتخليصهم من هذا الميل الموروث حيث لم يعد يناسب ظروف الحياة المعاصرة وأصبح واجباً على المربين أن يهتموا بتزويد الأفراد بألعاب تتناسب مع متطلبات العصر وتتفق مع مشاكله واحتياجاته وقد اهتم ستانلي هول المربي الأمريكي (١٨٤٦ – ١٩١٣) الذي كان أول من عرض هذه النظرية في هذه الصورة بنوع الدمى التي يفضلها الصغار وبمدى سرعتهم في اختيار أسماء لها كوسيلة جيدة لتعليمهم وتربيتهم (ربيع ،٢٠٠٨، ص٦١)

٤. <u>النظرية الإعدادية أو نظرية الإعداد للحياة المستقبلية:</u>

يرى واضع هذه النظرية كارل غروس (Karl Gross) إن اللعب للكائن الحي هو عبارة عن وظيفة بيولوجية هامة ، فاللعب يمرن الأعضاء ، وبذلك يستطيع الفرد أن يسيطر سيطرة تامة عليها وان يستعملها استعمالاً حراً في المستقبل .

(الغرير والنوايسة ، ٢٠١٠، ص٣٦)

فاللعب إذاً إعداد للكائن الحي كي يعمل في المستقبل الأعمال الجادة المفيدة ، ومثالنا على ذلك تناطح الحملان في لعبها إنما هو تمرين على القيام بالتناطح الجدي في المستقبل والدفاع عن النفس ، وتراكض الجراء وعض بعضها بعضاً كأنها تتدرب على القتال ، وصغار الطير تضرب بأجنحتها بما يشبه حركات الطيران وكذلك القطط التي يطارد بعضها بعضاً في أثناء اللعب فهي تقوم بحركات تشابه

الحركات التي تقوم بها بالمستقبل بقصد الحصول على الطعام ومطاردة الفريسة (عبد الهادي والصاحب ، ٢٠٠٢ ، ص١١) . والطفلة في عامها الثالث تستعد بشكل لاشعوري لتقوم بدور الأم حين تضع لعبتها وتهدهدها كي تنام ، وهكذا فان مصدر اللعب هو الغرائز أي الآليات البيولوجية ، وقد أكد وجهة النظر البيولوجية هذه كثير من العلماء مع إجراء تعديلات طفيفة عليها (خليفة ، ٢٠٠٣ ، ص١٦) .

ومما يثبت صحة هذه النظرية من الأدلة ، إن اللعب يأخذ شكلاً خاصاً عند كل نوع من أنواع الحيوانات ، ولو إن اللعب مجرد التخلص من الطاقة الزائدة لجاءت الحركات بصورة عشوائية عند الحيوانات جميعها ولما اختلفت من كائن الى آخر ، وترى هذه النظرية إن الإنسان يحتاج أكثر من غيره الى اللعب لان التركيب الجسمي أكثر تعقيداً وأعماله في المستقبل أكثر أهمية واتساعاً ، ولهذا فهو طيلة فترة طفولته يلعب ويتمرن ، كما ترى إن اللعب من خصائص الحيوان الراقي ، بينما الكائنات الحية غير الراقية تولد غير مكتملة النمو وغير قادرة على مواجهة صعوبات الحياة بنفسها من دون مساعدة كبارها بينما الكائنات الحية الراقية تولد بالغة مكتملة النمو تقريباً وتكون مستقلة عن كبارها وهذا يغنيها عن اللعب (صوالحة ، ٢٠١٠ ، ص ٣٦) .

وهكذا نرى إن نظرية غروس هذه يصح تطبيقها على الحيوان مع احتفاظنا بالفارق بين حياتي الإنسان والحيوان ، فحياة الإنسان غنية بعناصرها وتفاعلاتها وحاجاتها المختلفة إذا ما قورنت بحياة الحيوان البسيطة والمحدودة.

٥. <u>النظرية التنفيسية</u> :

وهي نظرية التحليل النفسي الفرويدية وتركز على ألعاب الصغار بخاصة ، إذ ترى إن اللعب يساعد الفرد على التخفيف مما يعانيه من القلق الذي يحاول كل إنسان التخلص منه بأي طريقة ، واللعب إحدى هذه الطرق ، وتشبه هذه النظرية الى حد ما نظرية الطاقة الزائدة . (خليفة ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠)

واللعب عند مدرسة التحليل النفسي تعبير رمزي عن رغبات محبطة أو متاعب لاشعورية وهو تعبير يساعد على خفض مستوى التوتر والقلق عند الفرد الذي يكره أباه كراهية لاشعورية قد يختار دمية من الدمى التي يعدها الأب فيفقأ عينيها أو يدفنها في الأرض وهو بهذه الحالة يعبر عن مشاعره الدفينة بواسطة اللعب ، وترى الولد الذي يغار من أخته التي تقاسمه محبة والديه ، يضمر لها عداء يعبر عنه دون قصد بالقسوة على دميته التي يتوهم فيها شخص أخته .

(شلش ، ٢٠٠١ ، ١٥)

لذا فالأم تستطيع أن تعرف شيء عن حالة أبنها النفسية من الطريقة التي يعامل بها دميته ، فهو يضرب دميته أو يأمرها بعدم الكلام أو يقذفها من الباب ، وهذه كلها رموز تدل على أشياء تسبب له القلق ، وعن طريق اللعب يصحح الفرد الواقع ويطوعه لرغباته (إن دميتي تنام متى تشاء) وبواسطته يخفف من أثر التجارب المؤلمة (عوقبت الدمية إذا أجريت لها عملية اللوزتين) وبه يكتشف حوادث المستقبل ويتنبأ بها (ستعاقبين يا دميتي لأنك لم تسمعي كلمة ماما) (صوالحة ،٢٠١٠ ، ص٢٢) .

ورسوم الصغار الحرة هي عبارة عن نوع من اللعب وتؤدي وظيفة للعب نفسها ، فالفرد قد يرسم عقرباً أو يقول هذه (زوجة أبي) ، والفرد الذي يشعر بالوحدة يرسم أفراد العائلة كلهم داخل المنزل باستثناء شخص متروك خارجه ، ولاشك إن الفرد يتغلب على مخاوفه عن طريق اللعب ، فالفرد الذي يخاف أطباء الأسنان يكثر من الألعاب التي يمثل بها دور طبيب أسنان إذ إن تكرار الموقف الذي يسبب الخوف من شأنه أن يجعل الفرد يألفه . والمألوف لا يخيفنا لأننا نتصرف حياله التصرف المناسب ولدينا متسع من الوقت لهذا التصرف بخلاف غير المألوف ، والأفراد الذين يخافون من الأطباء يعطون لعبة تمثل المريض وسماعته ليفحصوا

بها وليمثلوا دور الطبيب بأنفسهم وبذلك يستطيعون التغلب على مخاوفهم من الأطباء بواسطة ألعابهم . (سلامة ، ٢٠٠٦ ، ص٥٠) .

ولنذكر على سبيل المثال حاله تظهر كيف يكون اللعب مسرحا يمثل عليه الطفل متاعبه النفسية رمزياً طفل في منتصف الثانية من عمره كانت أمه تتركه وحده فترات طويلة فكانت لعبته المحببة هي أن يمسك ببكرة يوجد عليها خيط فيرمي بها تحت السرير حتى تختفي هنا وهناك يصبح منزعجا ثم يجذبها فيفرح بعودتها مرحباً بظهورها ، فالطفل في لعبته المذكورة يمثل رمزياً المأساة والأحزان التي يعاني منها ، ويصور بسلوكه هذا خبرة مؤلمة يكابدها هي مأساة اختفاء أمه وعودتها وبذلك كان يخفف من القلق الذي ينتابه (سلامة ، ٢٠٠٦ ، ص٥١)

وترجع نظرية مدرسة التحليل النفسي الى عهد الفيلسوف اليوناني "أرسطو" الذي كان يرى إن وظيفة التمثيليات المحزنة هي مساعدة المشاهدين على تفريغ أحزانهم من خلال مشاهده ما فيها من أحداث ووقائع ، وقد أستخدم(Eroud) اللعب لأول مرة مصادفة في العلاج النفسي ، وكان لآرائه عن اللعب في أنواع العلاج المختلفة آثار مباشرة ، فقد طبقت على الأفراد المضطربين نفسياً ، مستخدما فيها اللعب التلقائي واللعب الخيالي . (أبو عيطة ، ٢٠٠٢ ، ص٢٠١)

واستخدمت (هلموث) ظاهرة اللعب في علاج الأطفال المضطربين عقلياً بغرض ملاحظتهم وفهمهم (ميلر ، ١٩٨٧ ، ٢٧٠) أما (ميلان كلاين) فقد استخدمت اللعب التلقائي في علاج الأفراد المضطربين نفسياً ، وافترضت إن ما يقوم به الصغير خلال اللعب الحر يرمز الى الرغبات المكبوتة والمخاوف والصراعات غير الشعورية ، وبذلك أصبح اللعب التلقائي بديلاً مباشراً عن التداعي الحر اللفظي الذي استخدمه (فرويد) في علاج الكبار . (روتر ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٢) ، ومن الواضح إن النظرية المذكورة لا تكفي لتفسير اللعب ، فليس مقبولاً أن تكون وظيفة اللعب مقصورة على مجرد التنفيس.

٦. **نظرية النمو الجسمي :**

يرى العالم كارت (Cart) الذي تنسب إليه هذه النظرية إن اللعب يساعد على نمو الأعضاء ولاسيما المخ والجهاز العصبي ، فالإنسان عندما يولد لا يكون مخه في حالة متكاملة واستعداد تام للعمل لان معظم أليافه العصبية لا تكون مكسوة بالغشاء الدهني الذي يفصل ألياف المخ العصبية بعضها عن بعض ، وبما إن اللعب يشتمل على حركات تسيطر على تنفيذها كثير من المراكز المخية فمن شأن هذا أن يثير تلك المراكز إثارة يتكون بفضلها تدريجيا ما تحتاج إليه الألياف العصبية من هذه الأغشية الدهنية (سلامة ، ٢٠٠٦ ، ص٥٢) .

هذا ملخص بسيط لأهم النظريات التي حاولت تقديم تفسير منطقي لأسباب اللعب ، وصحة أي واحدة منها أو خطؤها إنما يعتمد على الأدلة التي يقدمها مؤيدوها لتفسير ظاهرة اللعب ، غير انه يمكن القول إن من الممكن أن تشترك أكثر من نظرية في تفسير أسباب اللعب .

ثانيا وجهة النظر الثانية :

أما وجهة النظر الثانية فتمثل المنظور الحديث لتفسير اللعب ، وأهم نظرياتها :-

١. **النظرية السلوكية ١٨٧٨-١٩٣٨**

انبثقت النظرية السلوكية من أعمال سكنر (Skinner) وأتباعه أمثال ثورندايك (Thorndike) وهل (Hull) وقد ركز هؤلاء اهتمامهم على الدور الذي تلعبه البيئة في تشكيل السلوك، وكأنه التركيز الأول الذي يمكن ملاحظته وقياسه ، كما أكدوا على دور البيئة في التأثير على الفرد ، أو بالنسبة لهم يمكن النظر الى المميزات الخارجية على إنها مصدر النمو والتعبير (الازيرجاوي،١٩٩١، ص ٢٠٩) .

ويقول سكولسكري (Scholskery) إن اللعب يخضع لنفس القواعد الأساسية للتعلم والتي يتم تطبيقها على الفئات الأخرى من السلوك، وبشكل عام فالسلوكيون

يعتبرون الدافع للوفاء بالاحتياجات الجسمية هو الدافع القوي والأساسي وراء السلوك الإنساني، فالدوافع تدفع الإنسان الى أن يظل نشيطاً متوتراً حتى تشبع حاجاته ويظل هكذا إذا لم يشبع دوافعه (عبد الباقي ، ٢٠٠٥ ، ٦٥-٦٦) .

وقد أكد (باندورا و ولتر) (bandura and Walter) على أهمية دور المحاكاة في اكتساب السلوك الذي لا يمكنه تجاهل دوره في اللعب الرمزي عند الأطفال (Bandura & Walter, 1963, p.32)

إن السلوكيين لا يتعاملون مع مفاهيم مثل التفكير والانفعالات ، لأنهم لا يؤمنون إلا بما هو ظاهر وواضح وجلي، أما التفكير والانفعالات فهي لا تلاحظ بشكل مباشر ، والعقل عندهم يمكن تشبيهه بصندوق العجائب .

(Bakwin, 1968,p.392)

٢. <u>نظرية الجشطالت</u>

نسبت هذه النظرية الى علماء النفس الألمان (فرتهايمر، كوفل، وكوهلر) وتعني (الجشطالت) الهيأة أو الصيغة أو الشكل أو الكل ، وقد توصلت هذه النظرية الى مجموعة من القوانين التي تحدد العلاقات بين الأجزاء والكليات وقد أفضت هذه القوانين الى إن العلاقات القائمة بين مكونات المجال الإدراكي هي التي تحدد الإدراك ، وانصب اهتمام هذه المدرسة على موضوع (الإدراك الحسي) وان الإدراك يكون الكليات أولاً ثم تتميز بعد ذلك الأجزاء (الجزيئات) داخل ذلك الكل، كما إن الكل يختلف عن مجموع الأجزاء، وان خصائص الكليات لا يمكن أن تكون في أجزائها.(Chaplin & oth. , 1974, p.174) .

أما قوانين هذه النظرية فهي عديدة منها قانون التقارب، والتشابه، والاستمرارية، والإغلاق ، ففي سنة (١٩٢٤) قام احدهم (كوفكا) بتطبيق مبادئ هذه النظرية على نمو الأطفال ويشير احد هذه المبادئ الى أن الاستجابة تتأثر لمجرد أن يحدث الإدراك لأن كلاً منها ينتمي الى شكل واحد ، فعلى سبيل المثال إن رؤية

البيانو، والضرب على مفاتيحه ينتميان الى شكل واحد (نمط واحد) لهذا فأن الإدراك يثير الاستجابة لأن هناك علاقة ابتدائية مباشرة بين إدراك مخطط معين والفعل الملائم له، وهذا يصلح الى حد كبير في تفسير ما يعرف بـــ(المحاكاة) مثل مناغاة الرضيع استجابة لصوت أمه، أما (اللعب التخيلي) فأنه يحدث لان عالم الطفل بطبيعته يكون اقل تمايزاً عن عالم الراشدين، فالطفل لا يرى أي تناقض في أن يهدد على عصار وكأنها طفل رضيع ولا يهم عدم تطابق ملامح هذه الخشية من الوليد (ميللر، ١٩٨٧، ٥٠-٥١)

ويلحق بهذه النظرية تفسير عالم النفس الألماني (كيرت ليفين) الذي كان احد أعضاء (الجشطالت) إذ قام بتوسيع وتنمية كثير من مفاهيم الجشطالت بنظريته، عندما رأى أن سلوك الفرد يعتمد على الموقف الكلي الذي يجد نفسه، ويختلف في استجاباته تبعاً لسنه وشخصيته وحالته الراهنة، فضلا عن جميع العوامل الموجودة في بيئته في لحظة معينة، فعلى سبيل المثال يتوقف اعتبار (منطاد) على انه دمية مسلية أو شيء ينطوي على خطر تبعا لسن الطفل ودرجة نموه، والسياق الذي يراها فيه ، إذ قد يكون الطفل سلبيا في موقف، وخجولا في موقف ثانٍ، وعلى سجيته في موقف ثالث، وان اتجاه أفعال الطفل يتحدد بواسطة التكافؤات الايجابية والسلبية في المجال السيكولوجي ، فاللعب التي يكون لها مكافئ ايجابي يقترب منها الطفل ، أما الشيء ذو القيمة السلبية فهو الذي يكون له مكافئ سلبي ينزع الطفل الى الاستجابات والابتعاد عنه ، الأمر الذي يجعل بعض خصائص لعب الأطفال تنتج من خلط الواقع بالرغبات إذ يكون عندئذٍ معنى الأشياء والأدوار الخاصة للطفل مختلفة، فقطعة من الخشب مثلا يمكن أن يهديها الطفل الى طفل صغير في موقف ثم يلقي بها بعيدا في موقف آخر . (ميللر، ١٩٨٧ ، ٥١) ، (Levin, 1963, p.44)

إن إمعان النظر في نظرية (ليفين) يؤشر إنها ليست إلا تطويراً لمفاهيم الجشطالت ، الأمر الذي يجعل كثيراً من المصادر تورد النظريتين وكأنهما نظرية

واحدة ، ونعتقد هنا إن نظرية (ليفني) على الرغم مما احتوته من مفاهيم جشطالتية بقيت مثل نظرية الجشطالت غير متكاملة ولم تقدم تفسيرا علمياً متكاملاً للعب.

٣. نظرية بياجيه في اللعب

تنسب هذه النظرية الى (بياجيه) وتعد لصيقة بتفسير نمو الذكاء عند الأطفال إذ يسلم بوجود عمليتين اعتقد إنهما أساسيتان لكل نمو عضوي هما التمثل (Assimilation) والموائمة (Accommodation) ، ويقصد بالأولى في ميدان النمو عملية تمثل للمعلومات الجديدة التي يستقبلها الإنسان حتى يستطيع هضمها فتصبح جزءاً من تكوين معرفي لديه، بينما يقصد بالثانية عملية تكيف أو موائمة أو توافق يقوم بها الإنسان كي يتلاءم مع العالم الخارجي ، ويحدث النمو العقلي عند الإنسان نتيجة التبادل المستمر بين هاتين العمليتين (التمثل و الموائمة) فعندما تتوازن العمليات ينشأ عن ذلك تكيف واتزان لدى الإنسان وعندما تطغى الموائمة على التمثل ينتج عن ذلك ما يعرف بـــ (المحاكاة) وهي معكوس اللعب، بينما ينتج طغيان التمثل على الموائمة ما يعرف بـــ (اللعب) وبذلك يرى (بياجيه) اللعب تبعاً لهذا التصور فمثلاً للمعلومات من اجل التلاؤم مع متطلبات الفرد في وضعه الجديد .

(ميللر ، ١٩٨٧ ، ٥٤) ، (Piaget, 1971, p.27)

إن هذه النظرية ترى إن (اللعب) له وظيفة بيولوجية باعتباره تكراراً نشيطاً وتدريباً لعمل ما يقوم به الإنسان من اجل التلاؤم معه، كما أفرزت هذه النظرية مفاهيم عديدة ألقت الضوء على مفهوم اللعب يمكن إيجازها بالاتي:-

١. يرتبط اللعب بالنمو العقلي والذكائي عند الفرد.
٢. اللعب عملية عضوية يهدف الى تكيف الإنسان مع نفسه، وعالمه ويمكن أن يؤدي دورا بارزا في الصحة النفسية عند الإنسان.
٣. اللعب عملية تعلمية تعليمية يمكن الإفادة منها في ميدان التعلم والتعليم.

٤. اللعب صورة للحيوية والنشاط لدى الإنسان.

٥. اللعب عملية منظمة ومنطقية وليس نشاطا عشوائياً.

٦. اللعب عملية حسية حركية ذات بناء نفسي نشيط. (عبد الجبار، ١٩٨٣، ص٢٧) .

ويمكن القول أن نظرية (بياجيه) في اللعب يطغى عليها الجانب البايولوجي إذ إنها فسرت هذه الظاهرة (اللعب) في ضوء حيثيات علوم الحياة الذي طغى على النظرية ولم يكن لعلم النفس فيها نصيب وافر ، الأمر الذي جعلها قاصرة في تفسير (اللعب) عموماً.

٤. نظرية التعلم الاجتماعي:-

تعد نظرية التعلم الاجتماعي من النظريات الحديثة التي اهتمت بالاضطرابات النفسية ، وان فهم الاضطرابات النفسية يتطلب فهم الشروط المحيطة بالشخص ، وليس بالجوانب الداخلية الموجودة لديه فحسب ، وان المثيرات المزعجة تودي الى نشاط انفعالي عند الإنسان ، غير إن هذا لا يقود حتماً الى الاضطراب النفسي ، وإنما يسلك الإنسان في مثل هذه الحالة على وفق ما تعلمه من التجارب السابقة ، وهذا ما يسمى بالتعلم الاجتماعي ، ويرى أصحاب هذه النظرية إن الفرد لديه استعداد لاكتساب الاضطرابات النفسية ومن ثم ينوع ويطور أساليبها طبقا لأسس وقواعد التعليم التي تعتمد عليها عناصر التعويض والتكرار والربط والتدعيم . (Toch ,1979, p.174) . ونتيجة لقناعة أصحاب النظرية بان الاضطرابات النفسية مكتسبة . لذلك افترضوا انه من الممكن أن يتعلم المسترشد السلوك غير المضطرب المباشر من خلال أبراز أنماط هذا السلوك وتعزيزه ، وان تطفئ النتائج التي تعزز الاضطرابات النفسية . (عبد السلام ،١٩٩٠ ، ٧٨)

كما توصل أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي الى إن العلاقة التي تربط بين حدوث الاضطراب النفسي والعوامل الاجتماعية والبيئية من جانب وقواعد التعلم من

جانب آخر له أهمية اجتماعية ، ويمكن التحكم بالاضطرابات النفسية من خلال الحياة الاجتماعية ، فضلاً عن توجيه عمليات التعلم الوجهة الصحيحة لكي تمنع حدوث الاضطراب النفسي ، لذا اتفق اصحاب هذه النظرية أنه من الممكن السيطرة على الاضطرابات النفسية والتحكم بها ، وهذا ما أثبتته نتائج بعض الدراسات كدراسة (Patterson.Litlman and Bricker,1967) التي أشارت الى أهمية دور الوالدين ومجموعة الأقران في منع حدوث الاضطراب النفسي .

أن نظرية التعلم الاجتماعي مبنية على أساس الاعتقاد بأن الإرشاد النفسي هو عبارة تفاعل اجتماعي ، فالمرشد يساعد المسترشد على أن يحقق تفاعلاً متبادلاً مرضياً وبنّاءاً مع بيئته الاجتماعية ، وان القوانين والمبادئ التي تحكم السلوك في المواقف القائمة بين الأفراد تنطبق تماماً على موقف العلاج ، وهذا ما يوفره اللعب للفرد ، كما إن السلوك ضمن هذه النظرية يعد سلوكاً مكتسباً ، وبما انه مكتسب ، إذاً فهو قابل للتعديل ، وبناءاً على ذلك فإن نظرية التعلم الاجتماعي يمكن أن تكون أكثر فعالية لأنها قائمة على أسس علمية ، وان مفاهيمها قابلة للاختبار والتطبيق ، إذ تعتمد هذه النظرية على أكثر من أسلوب لخفض الاضطرابات النفسية عن طريق تشجيع المسترشد على إطلاق المشاعر الحبيسة عن طريق اللعب الدرامي أو من خلال الفنون التعبيرية أو من خلال التدريبات الرياضية والأنشطة الجسمية ، وتأتي التأثيرات الايجابية للتفريغ في الواقع نتيجة لحدوث التعلم الجديد الموجه ونتيجة للتعزيز المباشر من جانب المرشد . (باترسون ، ١٩٨١، ص ٤٠٦)

اسس الارشاد باللعب :-

يقوم الإرشاد باللعب على فكرة أساسية مؤداها ان اللعب ما هو إلا انعكاس أو تعبير عن محتويات و دوافع ورغبات لا شعورية مكبوتة لدى الفرد ، ومن خلال اللعب يكشف الفرد هذه المحتويات المكبوتة أثناء الجلسات الإرشادية، وقد يستخدم المرشد في ذلك مواد لعب مختلفة وقد يستخدم بعض اختبارات اللعب الإسقاطية في دراسة شخصية الفرد ، إذن فاللعب بمثابة وسيلة للإفصاح عن المشاعر والرغبات الانفعالات من خوف وقلق وغضب.

وبناءاً على ذلك يمكن التعرف على الاسس التي يقوم عليها الارشاد باللعب وفقا لطبيعة التفسير الذي تقدمه النظريات الارشادية التي اهتمت بتفسير اللعب ، إذ تناولت هذه النظريات بالدراسة والتفسير كل ما يتعلق باللعب والأنشطة المرتبطة به لدى الأفراد ، وقدمت تفسيرات مختلفة ، يمكن تلخيصها في الأسس النفسية والاجتماعية وكما يأتي :-

أولا ً . الأسس النفسية :-

إن الأسس النفسية التي يرتكز عليها الإرشاد باللعب تقوم على أساس التنفيس الانفعالي أو تفريغ الشحنات الانفعالية المكبوتة داخل الفرد عن طريق اللعب، حيث يكشف من خلالها عن وإحباطاته وصراعاته وعلاقته بأفراد أسرته والمحيطين به الذين يمثلهم بالدمى التي يلعب بها، ويترك هذه المشاعر تطفو إلى السطح وهو يواجه مشاعره هذه بعد ذلك ويتعلم أن يضبطها أو يتحكم فيها أو يتخلى عنها، ويختلف اللعب في مراحل النمو المختلفة.. ففي مرحلة الطفولة يلاحظ أن اللعب بسيط وعضلي ثم تدخل عمليات التفكير والذكاء في لعب الطفل، وفي الطفولة المبكرة يكون اللعب في جملته فرديا، ثم يتجه إلى المشاركة مع الآخرين، ويحاول تقليد الكبار ولعب أدوارهم ويستخدم خياله بدرجة كبيرة، ثم يكون الطفل أصدقاء

اللعب وتظهر أهمية السلوك الاجتماعي، ويتمايز لعب الذكور عن الإناث .. فنجد الذكور يهتمون بالفك والتركيب وألعاب العنف والحرب، بينما تهتم الإناث بالألعاب المهارية التي يقمن فيها بدور الأمومة والألعاب المنزلية، وفي مرحلة الطفولة المتأخرة ومرحلة المراهقة تظهر الألعاب الجماعية ثم الهوايات وتبزغ الميول والاهتمامات ، وعليه يمكن استخلاص مبادئ وأسس الارشاد باللعب التي تؤكد عليها نظرية التحليل النفسي فيما يأتي:-

١. الربط بين عملية اللعب والنشاط الخيالي والإيهامي للفرد.
٢. يعبر الطفل عن رغباته ومشاعره من خلال اللعب.
٣. يخفف اللعب من التوتر النفسي للفرد ويساعده في حل مشكلاته.
٤. يمكن دراسة نفسية الفرد من خلال اللعب.
٥. يهرب الفرد من خلال عملية اللعب من عالم الواقع إلى عالم الوهم والخيال الحر.
٦. اللعب أداة تواصل بين الفرد والمحيطين به . (الحيلة ، ٢٠٠٥ ، ١٨٢)

أما "جان بياجيه" فيرى أن الذكاء هو أساس التعلم لدى الفرد ، ولكي تتم عملية تكيف الفرد مع محيطه الطبيعي والاجتماعي والتي تتم بطريقة تدريجية ، يسلم بياجيه بوجود عمليتين أساسيتين هما : الاستيعاب " التمثل " والتلاؤم ، ويؤكد " بياجيه " على أهمية تحقيق التوازن والتناسق بين العمليات العقلية والظروف المحيطة بالإنسان ، أي التوازن بين الاستيعاب والمواءمة ، ويرى " بياجيه " إن لا شيء يحقق هذا التوازن سوى اللعب ، إذ يرى أن المواءمة بدون توازن مع الاستيعاب فإنه يسمى محاكاة أو تقليداً وبذلك يكون اللعب والمحاكاة جزأين مهمين لنمو الذكاء .

ويرى آخرون أن الارشاد باللعب يتلخص في حاجة الفرد الى الراحة والاسترخاء ، فالطفل بعد إنهماكه في العمل الجاد ومواجهة الكبار يحتاج إلى راحة الأعصاب واسترخاء العضلات والتحرر من قيود الواقع ، وأن اللعب يحقق له كل

ذلك ، وأن العلاقة بين اللعب ومتطلبات النمو تدفع الطفل لأن يلعب ليجرب معطيات النمو وما طرأ على استعداداته من تقدم ، كالقدرة على التصويب والإمساك بالأشياء والمراوغة من المنافس وضبط حركة أعضائه أو إعادة التوازن فيحرك عضلات يديه أو قدميه أو عنقه بعد فترة سكون طويلة ، وفي هذا إشباع لحاجة نفسية ترتبط بتقدير الذات .

ثانيا- الأسس الاجتماعية :-

أن الارشاد باللعب مبني أساسا على اللعب ، الذي يعد حاجة نفسية اجتماعية لابد أن تشبع ، وهو مخرج وعلاج لمواقف الاحباط في الحياة اليومية ، فالطفل الذي لا يختاره اقرانه في موقف قيادي ، يجد مخرجا في وضع لعبه في صف ويقودهم ، ويتولى الموقف القيادي الذي افتقده . كما أن اللعب نشاطا اجتماعيا دفاعيا تعويضيا ، فالطفل الذي يفتقد العطف والاهتمام داخل المنزل يعوض ذلك عن طريق اللعب مع رفاق يحبونه ويهتمون به خارج المنزل ، كما يرى بعض علماء النفس أن اللعب هو تمثيل صادق يعوض الطفل عن متاعبه ويجعله يشعر بالسعادة(نحوي ،٢٠١٠، ٨٥)

يرجع العالم " كارت Cart " أسس الارشاد باللعب الى النظم الاجتماعية ، إذ يرى " كارت " أن النظم الاجتماعية تقيد كثيراً من الغرائز لدى الإنسان فيحاول كبتها مما يؤدي إلى اضطراب في نفسه ، ويعد اللعب أحد أهم الوسائل لإخراج هذا الكبت وللتخلص من الاضطراب ، كما يرى أصحاب هذه النظرية أن الطفل يلعب لينفس عن شيء مكبوت وليخفف من صراعاته النفسية وليتغلب على مخاوفه الداخلية ، فإذا كان يخاف من العفريت قام بدور العفريت أو أحضر العفريت لخصمه ومن يكرهه ، وإذا كان يكره تناول الدواء سقاه للدمية ، وإن كان يخشى الطبيب لعب دور الطبيب وإن كان يخشى الشرطي يلعب دور الشرطي أو يحضره للانتقام من الدمية وهكذا .

ويقدم " شيلر " تفسيرا آخرا للعب يتلخص في أن الفرد لديه فائض من الطاقة ، وهذا الفائض يبحث عن طريقة مشروعة لتصريفه ، وهذه الطريقة هي اللعب ، لذا فإن أسس الارشاد باللعب لدى هذه أصحاب النظرية هي محاولة الفرد التخلص من الطاقة الزائدة.

ويؤكد " غروس " أن فترة الطفولة الطويلة للإنسان تساعده على التدرب من خلال اللعب على جميع المهارات التي تلزمه في مرحلة الرشد ، وذلك من أجل تحقيق تكيفه والمحافظة على بقائه حيا سليما نافعا للمجتمع ، ولذلك فإن اللعب يرتبط بصراع البقاء ، ويأخذ اللعب عند الإنسان أشكالاً مختلفة منها : ألعاب المقاتلة والمنافسة الجسمية والعقلية مثل ألعاب الصيد ، ومنها الألعاب المرتبطة بنشاطات ودية وألعاب التقليد والمحاكاة والدراما وأخيراً الألعاب الاجتماعية ، وأن اللعب يتأثر بالبيئة ونوعية الحياة الاجتماعية والثقافية ، وأن الأطفال يلعبون ليقوموا بالأدوار التي يقوم بها الكبار والتي يطلب منهم القيام بها مستقبلاً عندما يكبرون وأن الطبيعة قد زودتهم بالميل للعب للتدريب على المهام والوظائف المختلفة التي يقوم بها الكبار فالولد يلعب بالسلاح أو الحصان أو الطائرة ليتدرب على دور المقاتل ، والبنت تلعب بعروستها وتصفف شعرها وتحيك لها الملابس وتهدهدها لتتدرب على دور الأمومة وهكذا بقية الالعاب المختلفة . (الحيلة ، ٢٠٠٥ ، ٢٠٤)

الأسس البيولوجية :-

يشير " فرويد" إلى مجموعة من الفرضيات التي تؤكد على القوى البيولوجية التي تشكل مستقبل الكائن الإنساني ، ومن بين هذه القوى الغريزة ، حيث يولد الطفل مزوداً بمجموعة من الدوافع الغريزية اللاشعورية التي تحرك السلوك وتوجهه ، ويؤكد فرويد على أهمية اللعب وعلاقته بالنشاط الخيالي للطفل حيث يفترض أن السلوك الإنساني يقرره مدى السرور أو الألم الذي يرافقه أو يؤدي إليه ، وأن الإنسان يميل إلى السعي وراء الخبرات الباعثة على السرور واللذة والمتعة

وتكرارها أما الخبرات المؤلمة فيحاول المرء تجنبها والابتعاد عنها ، فيما يرى أصحاب النظرية التلخيصية أن أسس الإرشاد باللعب هي أسس بيولوجية بحتة تقوم على افتراض توريث الصفات المكتسبة والمهارات والخبرات الثقافية من الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة ، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن الفرد من لحظة مولده إلى لحظة اكتمال نضجه يمرّ بمراحل شبيهة بالمراحل التي مرت بها البشرية منذ وُجد الإنسان على الأرض وحتى الآن ، ويرجع أنصار هذه النظرية ميل الأطفال للعب بالماء واستمتاعهم به إلى المرحلة السمكية في تطورهم ، أي عندما كان أسلافهم أسماكاً تسبح في البحار ، ويفسر إصرارهم على تسلق الأشجار والحواجز والجدران واستمتاعهم بذلك على أنه يرتبط بالمرحلة القردية في سن ٨-١٢ سنة ، وهي نظرية فندت من قبل الكثير من علماء النفس ، إذ لا يمكن القبول بنظرية تزعم أن الإنسان كان في يوم ما من الماضي السحيق سمكة أو قرداً ، بل إن الإنسان خلق إنساناً بدءاً بآدم وحواء .

مما تقدم نستنتج أن أسس الارشاد باللعب تختلف بحسب المنطلقات الفكرية والمرجعية النظرية والتفسير الذي يتبناه كل باحث ، إلا أنها لا تخرج عن كونها إما أسسا نفسية أو اجتماعية أو بيولوجية ، إذ أن كل رأي يقدم تفسيرا لجانب من جوانب اللعب ، ولا يقوى كل رأي بمفرده على تفسير اللعب بصفته الشمولية وما يتعلق بالأنشطة المرتبطة به لدى الأفراد .

نظرة الإسلام للإرشاد باللعب :-

اللعب فعل يرتبط بعمل لا يجدي أو بالميل إلى السخرية بل هو نشاط ضد الجد .جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى :" الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا " (الأنعام : ٧٠) وفي موضع آخر:" فذرهم يخوضوا ويلعبوا " (الزخرف : ٨٣) وجاء اللعب بمعنى الاستمتاع والتسلية على لسان إخوة يوسف لأبيهم ، قال تعالى : " أرسله معنا غداً يرتع ويلعب " (يوسف : ١٢) ولهذا فإن اللعب في المجتمعات العربية اختلط فهمه عند العامة إلى درجة التباين ، فعندما ننظر إليه في إطار النشاط الذي يقابل النشاط الديني لغاية التفاضل فإنه يشكل نشاطاً عبثياً ، وأما إذا فُهم بأنه نشاط للصغار والكبار في إطار تقسيمي لا يفضل النشاط الديني فإنه يقبل مع التحفظ . (الحيلة ، ٢٠٠٥، ١٧٦)

والأصل في اللعب أنه مرغوب ومطلوب للطفل من وجهة نظر الإسلام وذلك لما يضفيه من سعادة على الطفل ويكسبه من خبرات ، فإخوة يوسف عليه السلام حين طلبوا من أبيهم السماح بأخذه معهم عللوا ذلك بأنه سوف يرتع ويلعب وأنهم سوف يحافظون عليه ولو لم يكن ذلك مقبولاً بل حقاً من حقوق الطفل لما سمح أبوهم لهم بمصاحبة يوسف وأخذهم له . (حنورة ، عباس ١٩٩٦،٢٨)

وعنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَوَضَعَهُ، ثُمّ كَبّرَ لِلصّلَاةِ فَصَلّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصّبِيّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمّا قَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّلَاةَ قَالَ النّاسُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتّى ظَنَنّا أَنّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: " كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجّلَهُ حَتّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ " (البخاري ، ج٨ ، ص٣١)

في هذه القصة تأكيد على أهمية حصول الطفل على حقه في اللعب وأن اللعب مهم للطفل ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يطيل السجود يشكل يلفت انتباه المصلين حتى ظنوا أن وحيا نزل أو حدث أمر فيبين لهم أنه أطال السجود لأجل أن يتمتع الطفل بحقه كاملا فلا يرفع حتى تنتهي حاجة الطفل ، وهذا يؤكد أن اللعب حق من حقوق الطفل ينبغي إعطاؤه كاملا مهما كانت الأسباب.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، " فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنّ إِلَيّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي " ، (البخاري ، ج٢ ، ص٥) وفي هذا دلالة واضحة على حق الصغير في اللعب فعائشة رضي الله عنا تحكي ذلك وفي بيت النبوة وقد تزوجت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمنعها ذلك ممن ممارسة حقها في اللعب بل أ ن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرها على ذلك بل ويهيئ لها ذلك كما تقول : (فَيُسَرِّبُهُنّ إِلَيّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي) مما يدل على إيمانه صلى الله عليه وسلم بحق الصغير في اللعب والترويح ، ودلالة على عناية التربية الإسلامية وحفظها لحق الطفل في اللعب كنشاط ضروري يساهم في تشكيل شخصيته .

ويعني اللعب عند العلماء العرب والمسلمين بأنه " عملية تربوية تهتم بالجوانب النفسية والبدنية والعقلية والترفيهية " ، فهو عند " ابن سينا " " نشاط حر ينطلق من حاجة الطفل الجسمية والحركية والعقلية والاجتماعية واللغوية " ، أما عند الغزالي فإن اللعب يؤدي ثلاث وظائف أساسية ، هي :- ترويض جسم الولد ، إدخال السرور إلى قلبه ، وإراحته من تعب الدروس في الكتّاب ، وكل هذه الأفكار ينادي بها اليوم علم النفس العام والتربوي بشكل خاص .(حسين ، ١٩٨٧، ٢٣)

ويرى الغزالي أن الألعاب الرياضية المفضلة للطفل " تساعده على شفاء القصور الذي يظهر على بنية الطفل منذ ولادته والذي يطرأ عليه إثناء نموه ، وهذا لا يتم إلا باستمرار مراقبة نمو البدن مراقبة واعية يقظة لكل خلل يطرأ على أي

عضو من أعضاء الفرد ويعوقه عن القيام بوظيفته الطبيعية التي خلق من أجلها ، فإذا ما تحقق للجسم صحة جيدة تحرر العقل من القلق على سلامة البدن، وتفرغ لتحقيق أهداف الإنسان الأخرى وتمكن البدن من القيام بالأعمال التي يكلف بأدائها، وبذلك يحيى الإنسان حياة سعيدة " . (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٩، ٢٠٤)

ويستطرد الغزالي " أن مواصلة الدروس بدون راحة مملة ومتعبة " ، لذلك يدعو إلى ترويح القلب بين حين وآخر فيقول:- " اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر والقلوب، إذا كرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجد ، ومن ثم ينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعليم دائماً يميت قلبه ويعطل ذكاؤه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ". (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٩،٢٠٥)

ولاشك أن اللعب عند العلماء العرب والمسلمين يعد وسيلة مهمة في الاتصال والتفاعل الاجتماعي بين الأطفال، وأن من واجب المربي أن يهيئ الجو الأخلاقي المناسب للطفل ويجنبه اكتساب العادات السيئة ومن مخالطة الأطفال السيئين خلال اللعب، وعلى الأب أن يحمي الطفل من قرناء السوء؛ لأن الطفل إذا خالطهم فإنه سرعان ما يكتسب منهم العادات السيئة والسلوكية المنحرفة دون دراية، ويطلق الغزالي على هذه الظاهرة اسم " مسارقة الطبع " فهو يقول:- " وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين، إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة مهيمناً على الطبع " .(الغزالي، ج٩، ٦٩)